فاعلية ومحدودية القدرة التفسيرية للمقاربات النظرية في دراسة ظاهرة الإرهاب.

The effectiveness and limitations of the explanatory capacity of theoretical approaches in studying the phenomenon of terrorism.

معمر خديجة [1]*، محوز عمر [2]

[1] جامعة وهران 2 محمد بن احمد، الجزائر،

mamar.khadidja@univ-oran2.dz

[2] جامعة وهران 2 محمد بن احمد، الجزائر،

mahouz.omar@univ-oran2.dz

تاريخ الإرسال: 2024/03/12 تاريخ القبول: 2024/05/20 تاريخ النشر: 2024/06/01

****

ملخص:

تبحث هذه الدراسة في موضوع مناقشة أبرز المقاربات النظرية التي تعرضت لظاهرة الإرهاب وتَجادُلها فيما بينها حول قدرتها التحليلية والتفسيرية للظاهرة، في ظل التنوع في القضايا الدولية والأمنية، على ضوء التغيرات والتحولات التي تشهدها العلاقات الدولية عموما، ومفهوم الظاهرة على وجه الخصوص، من النظريات التقليدية والنفسية والاجتماعية وصولا إلى المشروع المعرفي النقدي لظاهرة الإرهاب، والتي حاولت كلها أن تتعامل بأبعاد وخصائص منهجية ونظرية مختلفة ومتميزة في معالجة التعقيد والتشابك الذي ميز ظاهرة الإرهاب في مفهومها وخصائصها وأبعادها المنفردة من منطقة إلى أخرى ومن فترة زمنية إلى أخرى، وهو الأمر الذي أثار جدلا واسعا واختلافا كبيرا بينها حول الظاهرة ومكافحتها من قبل فواعل المجتمع الدولي، خاصة إذا أخدنا بعين الاعتبار هدف معالجة إشكالية فك الارتباط بين الإرهاب والعديد من الظواهر والمفاهيم ذات العلاقة التي ثار بخصوصها جدلا أكاديميا كبيرا. في خضم كل ذلك شهد حقل دراسات الإرهاب طفرة نوعية من حيث الكم ومن حيث القدرة التفسيرية لعديد المقاربات النظرية التي درست موضوع الإرهاب.

الكلمات المفتاحية:

الإرهاب، المقاربة السيكولوجية، المقاربة السوسيولوجية والاقتصادية، المقاربة النقدية.

Abstract:

This study examines the topic of discussing the most prominent theoretical approaches that have been exposed to the phenomenon of terrorism and their debate among themselves about their analytical and explanatory capacity for the phenomenon, in light of the diversity in international and security issues, in light of

the changes and transformations witnessed by international relations in general, and the concept of the phenomenon in particular, from traditional and psychological theories. and social approach to the critical cognitive project of the phenomenon of terrorism, All of which attempted to deal with different and distinct methodological and theoretical dimensions and characteristics in addressing the complexity and interconnectedness that characterized the phenomenon of terrorism in its concept, characteristics, and individual dimensions from one region to another and from one period of time to another, which sparked widespread controversy and great disagreement among them regarding the phenomenon and its fight by societal actors. International, especially if we take into account the goal of addressing the problem of disentangling terrorism from many related phenomena and concepts regarding which great academic controversy has arisen. In the midst of all this, the field of terrorism studies witnessed a qualitative boom in terms of quantity and in terms of the explanatory power of many theoretical approaches that studied the topic of terrorism.

Key words:

Terrorism , Psychological approach , The sociological and economic approach, Critical approach.

مقدمة:

لا زال الجدل النظري بين مختلف المقاربات التي حاولت دراسة ظاهرة الإرهاب في سبيل التوصل إلى تصور أكثر قدرة على التفسير والتعميم قائما، من منطلق أنه وفي ظل التحولات الدولية المتسارعة المرتبطة أساسا بتفاعل مختلف الوحدات الدولية مع الظاهرة، جعل من هذه الأخيرة تحظى بالاهتمام من طرف العديد من الحقول المعرفية على اختلافها منطلقاتها الفكرية وبناءاتها المنهجية، والتي قدمت كل واحدة منها التركيز في المقام الأول على أصل نشأة الظاهرة وتطورها، إذ كان الأثر المعرفي المباشر لتلك الاجتهادات أن أنتجت تراكما علميا كبيرا، من حيث أن مداخلها التفسيرية قد قاربت الظاهرة من زوايا مختلفة، بقدرة تفسيرية متباينة من مقاربة إلى أخرى، وبالرغم من عدم التوصل إلى نتيجة غير قابلة للنقد، إلا أن الإنتاج المعرفي الذي توصلت إليه مختلف العلوم/الحقول المعرفية والمدارس والتيارات، أزال اللبس عن الظاهرة وأخرجها من الأطر القانونية إلى الإطار العلمي، الذي حاول تفسير وحصر جوانب الظاهرة بغية التعامل معها بطريقة أكثر نجاعة. فمن علم النفس إلى علم الاجتماع والاقتصاد أصبحت العلوم الإنسانية والاجتماعية بفروعها المختلفة، مهتمة بدراسة ظاهرة الإرهاب وشرحها بشكل أدق وأعمق، تتجاوز تلك الدراسات التحليلية الظاهرية التي تكتفي بوصف الظاهرة دون محاولة تفسيرها والتمكن من فهمها.

تتعدد الدراسات الساعية لتفسير الإرهاب وفق صيغ موضوعية قابلة للتعميم، إلا أن التداخل بين الأطر الأكاديمية البحثية والسياسية، يجعل من محاولة ضبط مفهوم واضح للإرهاب، وتحديد المتغيرات التي تتحكم فيه أمرا معقدا، فمصطلح الإرهاب يعتبر أحد أكثر المفاهيم المؤدلجة التي تخضع للإرادات السياسية وأجندات الدول المختلفة والمتخالفة، وهو ما يضعنا أمام الحاجة الملحة لوضع معايير ضابطة تميط اللبس عن هذا المفهوم على قدر المستطاع، وتصوغه صياغة دقيقة من خلال تناول مختلف المداخل النظرية التي تتعامل مع الإرهاب بوصفه إحدى الظواهر الإنسانية التي لا يمكن فهمها، إلا وفق السياقات الذاتية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تنشأ ضمنها، والتي تكسبها مع مرور الوقت تدافعا نمطيا من نوع خاصا.

من كل ذلك تقارب هذه الدراسة موضوعها من خلال محاولة الإجابة على إشكالية بحثية مفادها: **إلى أي مدى كان للتنوع والاختلاف بين المداخل النظرية التي درست الإرهاب أثرا على قدرتها التفسيرية للظاهرة؟**

ضمن هذا الإطار البحثي للإشكالية تتجلى أهم الاعتبارات العلمية المرتبطة بموضوع دراستنا، التي لا تقتصر على الخوض في الجدال النظري بين مختلف المقاربات عن مدى جدواها وعلميتها، بقدر استهداف استكشاف قدرتها على مجاراة خصوصيات الظاهرة، ومن حيث أن الدراسة تسعى إلى استنباط أبرز الفروقات التي ميزت كل مقاربة في معالجة ظاهرة الإرهاب تبعا لتطور السياقات المعرفية/الأكاديمية والتفاعلية/السياسية، ستعتمد المقارنة كأساس منهجي لها يسعى بها للوقوف على أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين المقاربات المعتمدة للتحليل بقصد الكشف عن دلالتها من خلال الكشف عن العناصر المسؤولة عن التشابه أو الاختلاف.

في سبيل معالجة الإشكالية البحثية المصاغة وفق الإطار المنهجي المعتمد، شكلنا خطة بحثية مبنية على ثلاثة مباحث رئيسية نتعرض في المبحث الأول إلى موضوع المقاربة السيكولوجية في تفسير الإرهاب، بينما نناقش في المبحث الثاني المقاربة السوسيولوجية والمقاربة الاقتصادية في دراسة الإرهاب، في حين يختص المبحث الثالث بالبحث في الدراسات النقدية للإرهاب.

المبحث الأول

المقاربة السيكولوجية في تفسير الإرهاب.

من حيث الأطر الزمنية لظهور وتطور المقاربات النظرية في العلوم الإنسانية على وجه العموم، يمكن القول أن المقاربة السيكولوجية هي إحدى المقاربات التقليدية التي اهتمت بدراسة ومحاولة فهم ظاهرة الإرهاب، وقد تطورت هذه النظرية بسبب خضوعها للمتغيرات الإبستمولوجية، كما خضعت للمتغيرات

التجريبية الواقعية، فانتقلت من مجرد الاقتصار على تحليل الدوافع المؤدية لاستخدام العنف في العلاقات الإنسانية، إلى دراسة ظاهرة الإرهاب بشكل خاص ومحاولة تفسيرها تفسيرا إمبريقيا، وهو الأمر الذي أنتج مجموعة من النظريات الحديثة التي حاولت إبراز الأسباب الحقيقية للإرهاب من خلال من خلال التعرض إلى سمات الإرهابي الفرد في سلوكاته ونفسيته. وعليه وكانت كل البحوث المتعلقة بهذا الموضوع مستندة على نتائج الملاحظات الإكلينيكية، والصيغ النظرية التي تعود جذورها إلى مدرسة التحليل النفسي، فظاهرة الإرهاب -وفق هذا التصور- ليست أكثر من ظاهرة مرضية تتجلى في شكل انحرافات نفسية وسلوكية، تحفزها دوافع ورغبات غير واعية تعود إلى مرحلة الطفولة عند الأشخاص الموصوفون بـ "الإرهابيين"[1]. ضمن هذا السياق تمت بلورت مجموعة من النظريات التي حاولت إعادة صياغة الأطر العلمية والعملية في دراسة ظاهرة الإرهاب وفق مسلمات المقاربة السيكولوجية.

المطلب الأول: نظرية صراع الأجيال.

استمدت نظرية صراع الأجيال تصورها لظاهرة الإرهاب من الإطار النظري الذي بلورته مدرسة التحليل النفسي بشكل رئيسي، والتي اتجهت في تحليلاتها إلى اعتبار الصراعات الإنسانية جميعها (حتى الأفعال الإرهابية) قائمة بالأساس على مسلمتين إثنتين، مفادهما:

- أن كل الدوافع المؤدية للإرهاب هي غير واعية، تعود إلى الإحساس بالعدائية اتجاه أحد الوالدين.
- الإرهاب ناتج عن التعرض المبكر للاستغلال وسوء المعاملة.

ضمن هذا السياق تحدث الباحث الألماني "فوير Feure" عن وجود علاقة مباشرة بين هاتين الفرضتين وبين ميل الأفراد للأعمال الإرهابية، فقد لاحظ الباحث أن معظم المبحوثين هم من الشباب، وأن هناك نسبة كبيرة منهم من طلاب الجامعات، إذ يتميز هؤلاء برفضهم للمجتمع، حيث اختاروا نمطا جديدا للعيش يتبنى ثقافة موازية، أو يختار بعضهم الآخر للانضمام إلى جماعات إثنية تتميز برفضها للمجتمع والثقافة المهيمنة عليه، فاعتبر الباحث أن هذا الرفض ما هو إلا صورة جديدة من صور ثورة الأبناء على الآباء، وهي ظاهرة جيلية تعود إلى ما أسماه "فرويد Freud" بعقدة "أوديب". وبناءً عليه فإنّ الإرهاب هو ظاهرة عالمية لا يمكن تجنبها من طرف أي مجتمع، إلا أنه وبعد بلوغ مرحلة النضج فإن حالة الغضب والنفور ستصل إلى نهايتها[2]. لكن هذا التصور ولعدة أسباب منهجية وتفسيرية وفق البعد السيكولوجية ظهر قاصرا وفق عديد القراءات النقدية له، ضمن هذا السياق انتقد "روبرت ليبرت Robert Liebert" هذه النظرية، حينما أكد بأنها أخفقت تماما في تفسير ظاهرة الإرهاب، معتبرا أن التفسير الذي قدمته ضعيف

[1]-Martha Crenshaw, The subjectif reality of the terrorist, London: Macmillan editions, 1988, P 82.
[2]-David G.Hubbard, The psychodynamics of terrorism, London: Adeniram and Kilmarx editions, 1986, P 62.

أمام الواقع، إذ أنه مهما تشارك الأفراد مشاعر أو دوافع معينة في سلوك معين، ليس من السهل أن يجمعوا على التمرد والعصيان[1].

المطلب الثاني: النرجسية.

بينما كانت جل الدراسات تركز في تحليلاتها على اعتبار السلوك الإرهابي متعدد الدوافع، جاءت النظرية النرجسية مركزة على متغير واحد والمسمى بـ "السلوك النرجسي" في سبيل فهم وتفسير السلوك الإرهابي، حيث اعتبر أصحاب هذه النظرية أن السلوك النرجسي قائم على محورين أساسيين يتمثلان في:

- تعظيم الذات والمغالاة في إكبار الشخصية.
- التأكيد على مثالية الذات مقابل الاختلال في الأوضاع المحيطة بها.

في خضم مثل هذا الفهم ترى هذه النظرية أن الأشخاص النرجسيون يميلون إلى القادة والزعماء ذوي المقومات الكاريزمية العالية، كما يميلون إلى خلق تجمعات تضم كل من يتشارك معهم نفس التصورات، والتي تسعى إلى أعمال العنف كوسيلة للدفاع عن العدالة، ونتيجة لذلك يُجمع دُعاة هذه النظرية على أن النرجسية هي المحرك الأساسي للسلوك العدواني[2].

كثيرة هي الدراسات ضمن النظريات السيكولوجية التي عنت برصد الديناميكية السيكولوجية التي أنتجت بصيغة معينة الشخص الإرهابي، حيث اعتبرت تبعا لنتائج دراساتها أن الشخصية النرجسية تخفي حالة نفسية وفيزيولوجية مختلفة تماما عما تبديه وتعلن عنه بما يجعله مختلفا تماما عما تتصرف وفقه، فغالبا ما يكون الشخص النرجسي قد تعرض في طفولته إلى الإساءة الجسدية والمعنوية، وهو ما يؤدي إلى خلق إحساسه بالخوف العميق، بحيث يتحول هذا الخوف إلى محور التعرف على الذات عند هؤلاء، وحتى يتم التخلص من هذه الصورة، يميل الشخص النرجسي إلى دفن صورة الضحية التي تكونت لديه عن ذاته، وذلك من خلال التقليل من قيمة الآخرين كإحدى الطرق لزيادة تقديره لذاته، وعندما تجتمع المتغيرات البيئية الملائمة وخاصة عند الاجتماع مع أشخاص يحملون نفس السمات السيكولوجية، وإذا تصادف مع وجود شخص يستطيع قيادة هذه المجموعة، فإن النتيجة المباشرة لهذا التجمع سيكون تأسيس جماعة تعمل على نشر الرعب والخوف، وهم بذلك يقومون بإعادة نشر الخوف الذي نشؤوا فيه. وكلما تمكنوا من تحقيق أهداف معينة كلما زادت لديهم الرغبة في تحقيق المزيد من الأهداف ونشر المزيد من الرعب[3]. هذا ما تناوله رواد النظرية النرجسية ضمن المقاربة السيكولوجية التي حاولت تفسير ظاهرة الإرهاب وتحليل

---

[1]-Martha Crenshaw, The psychology of political terrorism, London: M.G Herman edition, 1986, P 36.

[2]-John W.Crayton, Terrorism and the psychology of the self, Wilmington: Friedman and Alexander editors, 1983, P 35.

[3]-Shahid Akhtar, The psychodynamic dimention of terrorism, Psychatric annuals, Vol 29, N 06, 1999, PP 351-352.

سلوكات الفرد الإرهابي، من حيث النشأة والتطور، خاصة منها نظرية فرويد S.Freud الذي ظهر على لسانه مصطلح النرجسية لأول مرة، إضافة إلى نظرية لاكان J.Lacan، وكذا نظرية أوتو كرينبرغ O.F.Kernberg، ونظرية كوهت هنز H.Kohut...[1].

المطلب الثالث: النظرية المصنفة للإرهاب.

تمكنت الدراسات النفسية التي أجريت على حالات عديدة من التوصل إلى مجموعة من النتائج ذات العلاقة بتحليل سلوك الفرد الإرهابي، من بينها أنه لا يوجد نمط واحد منفرد لشخصية الإرهابي، حيث أكد عدد من الدارسين أنه لا يمكن التعامل مع الإرهاب بصيغة الجمع، وذلك لأن لكل إرهابي سماته ودوافعه وأهدافه التي تختلف عن غيره، وقد جاءت دراسة الأخصائي النفساني "فريدريك هاكر Fredrick J.Hacker" كأول مرجع ضمن الدراسات السيكولوجية التي وضعت تصنيفا للإرهاب، وهو التصنيف الذي أصبح يمثل مصدرا رئيسيا لدراسات الكثير من الباحثين من مختلف الاختصاصات المعرفية، في سبيل تحديد الأطر الجنائية والعقابية للسلوك الإرهابي عند رجال القانون على وجه الخصوص. على ضوء كل ذلك قدم "هاكر" ثلاثة أنماط[2] رئيسية للسلوك الإرهابي، وهي:

1- الإرهاب الإجرامي: يضم مجموع الأفراد الذين يرتكبون أعمالا لتحقيق مكاسب شخصية، ولا يتطلب هذا النوع من الإرهاب الكثير من التحليل والتدليل، من منطلق أن دوافعه وأسبابه واضحة وبسيطة.

2- الإرهاب المناضل: وهو الإرهاب الذي يضم الأشخاص الذين يسعون إلى الارتقاء والسلطة، وتجمع بينهم القناعة بأنهم يخدمون هدفا أسمى وغاية جماعية.

3- الإرهاب الفوضوي-المجنون: يعرفه "هاكر" بأنه الإرهاب الذي يضم مجموعة من الأفراد المضطربين عاطفيا، وتكون الدوافع التي تحركهم غامضة وغير مفهومة.

وقد بسّط "هاكر" هذا التصنيف وفق الجدول التالي:

---

[1]-لتفاصيل أكثر أنظر: يوسنة عبد الوافي زهير وبن جديدي سعاد، النرجسية: مقاربة نظرية، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، المجلد 07، العدد 28، سبتمبر 2008، ص ص 329-350.

[2]-Fredrick J.Hacker, Crusaders, criminals, crazies and terrorism in our time, New York: W.Norton editions, 1976, P 100.

الجدول رقم (01):

تصنيف هاكر للإرهاب.

النوع	الدافع/الغاية	الرغبة في التفاوض	توقعات النجاة
الإرهاب الإجرامي	المكاسب الشخصية الاستغلال.	قابلية كبيرة للتفاوض في مقابل منافع محددة أو منافذ آمنة.	كبيرة.
الإرهاب المناضل	غاية سامية تكون عادة تركيبة من القناعات الدينية والسياسية.	نادرة: وذلك لأنه يعتبر أن كل نوع من التفاوض هو خيانة للقضية التي يسعى إليها.	ضعيفة: لأنه يسعى إلى مكسب أكبر بعد الوفاة.
الإرهاب الفوضوي/ الجنوني	واضحة فقط لمرتكبيه.	ممكنة ولكنها تعتمد على قدرة المفاوض على فهم الطرف الآخر –الإرهابي-.	كبيرة: غير مبينة على أسس ووسائل واقعية.

Source : Fredrick J.Hacker, Op Cit, P 105.

وفي محاولة لتوضيح وتطوير دراسته السابقة، قام "هاكر" بتحديد الدوافع النفسية للإرهاب، واعتبر بأنها تمر بأربع[1] مراحل أساسية هي:

- الوعي بوجود حالة من الاضطهاد.
- الإدراك بأن الاضطهاد ليس حالة طبيعية لا يمكن تغييرها.
- من الممكن، بل من الواجب مواجهة الاضطهاد.
- استخدام العنف كوسيلة لمساعدة الذات، وذلك لأن العنف هو الآلية الوحيدة لمواجهة حالة الاضطهاد.

وأضاف هاكر أيضا بأن هذه المراحل تحركها ثلاثة دوافع رئيسية[2] هي:

- الانجذاب إلى الإثارة والحركة.
- الرغبة في الهروب من التعقيدات الإدراكية، فالإرهابيون يملكون نظرة بسيطة عما يحيط بهم، فالعالم منقسم بين نظرتهم لأنفسهم ونظرتهم للآخرين أي "نحن" و"هم".
- إشباع الحاجة إلى الانتماء سواء من خلال الانضمام إلى جماعة معينة أو فئة أو أيديولوجية.

وبالرغم من الانتشار الواسع الذي لقيته تصنيفات "هاكر"، إلا أنها تبقى فقط نتائج تساعد على عملية التفسير، ولكنها ليست حقائق علمية غير قابلة للنقد.

[1] -Randy Borum (DIR), Psychology of terrorism, USA/ University of South Florida, 2003, P 81.
[2]-Ibid.

شهدت سنوات منتصف القرن الماضي طفرة نوعية في مستوى القدرة التفسيرية لمختلف النظريات السيكولوجية بسبب ثورة البنية المنهجية التي أحدثتها، من خلال إعادة صياغة الإطار النظري والعملي الذي قامت عليه في مجال علم نفس الإرهاب، خاصة عندما ترسخت لدى منظري هذا الاتجاه قناعة بأنه لا يمكن اعتماد المقاربة النفسية في معزل عن المتغيرات السياسية والتاريخية والأسرية والعلاقات الجماعية، وحتى تلك المتغيرات المرتبطة بعوامل الصدفة والحوادث العارضة. وبناء على ذلك قامت هذه المقاربات بصياغة فروض جديدة للتحقق منها عمليا وإعادة تفسير ظاهرة الإرهاب بشكل أفضل، وهو ما قام به كل من "جون هوجان John Horgan" و"ماكس تايلور Max Taylor" الذين انطلقا من فرضية مفادها أن "انضمام الأفراد إلى الجماعات الإرهابية يحدث نادرا بقرار واعٍ، بينما يكون انضمامهم إليها ناتجا عن التنشئة الاجتماعية التي تقوم على التعرّض تدريجيا للسلوكات المتطرفة"، وهذا هو الإطار المعرفي الذي شكل حلقة تقاطع ابستمولوجي بين هذه النظريات ونظريات المقاربة السوسيولوجية.

المبحث الثاني:

المقاربة السوسيولوجية والمقاربة الاقتصادية في دراسة الإرهاب.

صحيح أن العنف مهما كانت صفته، هو فعل إنساني بالدرجة الأولى، صادر عن الفرد بالضرورة، إنه ظاهرة نفسية بالدرجة الأولى، يمكن تناوله في حقل الدراسات السيكولوجية كأحد الفعاليات الإنسانية التي تعبر عن جانب مهم في الحياة النفسية للإنسان، لكن رغم ذلك علينا التأكيد على ضرورة طرح الظاهرة من زاوية نظر سوسيولوجية، وفق مؤشرات المجال البشري، المجال الزمني، والمجال المكاني لظاهرة العنف، فكلما كان العنف ناتجا عن إرادة جماعة ما، وكلما حمل خصائص الجماعة التي يصدر عنها هذا العنف، وكلما كان عدد المشاركين فيه كبيرا ويشمل عددا معتبرا من أفراد المجتمع، وكلما كان مجاله الجغرافي واسعا ومجاله الزماني ممتدا، كلما كان العنف فعلا اجتماعيا لا فعلا نفسيا، يمكن ملاحظته بمجهر علم الاجتماع، وبالتالي يمكن دراسته كظاهرة اجتماعية، تحمل أبعادا اجتماعية كلية لا أبعادا نفسية جزئية[1].

المطلب الأول: النظريات المفسرة لنشأة الإرهاب.

تميزت المقاربة السوسيولوجية باجتهاد بحثي كبير، نتجت عنه بلورة العديد من النظريات التي حاولت تفسير أصل نشأة ظاهرة الإرهاب وفهمها، ممثلة لاجتهادات العديد من الدراسين المتخصصين، استندنا فيما له علاقة بموضوع بحثنا على أبرزها والتي يمكن تلخيص لعل من أهمها:

---

[1]- عبد الحق مجيطنة، مفهوم العنف الاجتماعي في البحوث السوسيولوجية بين الطرح العلمي والطرح الأيديولوجي "قراءة إبستمولوجية"، المجلية العلمية لجامعة الجزائر3، المجلد 6، العدد 11، جانفي 2018، ص 143.

الفرع الأول: نظرية التلقين الاجتماعي.

تنطلق هذه النظرية من افتراض علمي مفاده بأن العنف هو صبغة مكتسبة من ملاحظة وتقليد نموذج عنيف موجود مسبقا في المجتمع، فالشباب الذين ينشؤون في مناطق التوتر السياسي، يشهدون سلوكات عنيفة خلال نشأتهم، تعتبر جزءا عاديا من حياتهم اليومية، وهو الأمر الذي يدفع بهم إلى تكرار هذه المشاهد العنيفة دون وازع يمنعهم من ذلك، كما أن بعض المجتمعات تقوم بتعظيم شأن الممارسات العنيفة وإدراجها ضمن الأعمال البطولية، مما يحفز الجيل اللاحق على ممارسة نفس النمط من تلك السلوكات، وهو الأمر الذي حدث مع الأغاني والقصائد التي تمجد أعمال منظمة "إيرا IRA" الإيرلندية والتي ضمنت بفضلها لاحقا انضمام المزيد من الأنصار إلى صفوفها[1]، من خلال الاعتماد على توظيف هذه الأدوات الرمزية ذات البعد الاجتماعي في عملية التجنيد، واستمالة المتعاطفين من فترة إلى أخرى.

غير أن هذه النظرية لا تنطبق فعليا إلا على فئة معينة من الأفراد، وهو ما يعني أن نظرية التلقين قد نجحت في تفسير بعض أسباب الإرهاب، ولكنها لا تستطيع أن تفسر سبب تأثر بعض الأفراد بعينهم دون غيرهم[2].

الفرع الثاني: نظرية القمع.

لقد طور العالمان "رقولي" و"هويت" (Regoli and Hewit) نظرية تباين الكبت أو القمع لتفسير انحراف الأحداث في المجتمع، حيث يعتقدان أن المشاكل السلوكية للأحداث بما فيها الجريمة.... يمكن فهمها على أنها ردود أفعال تكيفية للمواقف الاجتماعية الكابتة.... إن النتائج المترتبة على هذا الكبت والضبط في المجتمع من شأنها أن تحول الأحداث إلى مواضيع من أجل ممارسة القوة والسلطة[3]، وبالتالي الجنوح إلى رد الفعل العنيف عن كل سلوك قمعي من قبل صاحب السلطة الرسمية والفعلية.

يجمع عدد كبير من الباحثين على أن القمع يؤدي إلى توليد العنف، خاصة عندما يستهدف فئات معينة كالحركات الانفصالية والجماعات الإثنية، ويستند هذا الإجماع على ملاحظة مناطق التوتر في العالم، حيث تواجه بعض الجماعات معاملات تستفزها، حيث أنها تعتبرها ظلما من طرف الحكومات التي سلبتها هويتها وكرامتها، وهو ما يخول لها اللجوء إلى ممارسة العنف والإرهاب[4].

---

[1]-Jeff Victoroff, The mind of the terrorist: A review and critique of psychological approach, The Journal of conflict resolution, Vol 49, february 2005, P 18.

[2] -Opcit, P 19.

[3]- حنان بوغراف، قراءة تحليلية لأهم النظريات السوسيولوجية المفسرة للسلوك الإجرامي والإنحرافي، حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 17، العدد 01، جوان 2023، ص 13.

[4] -Jeff Victoroff, Opcit, P 20.

إلا أن مفهوم القمع يخضع للتفسير الذاتي ولمعايير بعيدة عن الموضوعية، كما يتأثر بالقيم الفردية والعواطف، ولذلك يعتبر عاملا لزيادة الخطر داخل المجتمع.

الفرع الثالث: نظرية الخيار العقلاني والاستراتيجي.

قدم هذه النظرية "جون إلستر Jon Elster" باعتبارها نظرية معيارية تشير إلى أكفأ وسيلة للوصول إلى هدف معين، وقد تعلقت أبرز إسهاماتها بطرق بناء الأنساق السياسية[1]. تنطلق هذه النظرية من تفنيد التصور السيكولوجي الذي اعتبر الفعل الإرهابي فعلا مرضيا، حيث أنها على العكس من ذلك ترى هذه النظرية أن العمل الإرهابي ناتج عن موازنة عقلية واعية، وعليه يجب وفقها أن نحلل الصراع القائم بين الحكومات والجماعات الإرهابية مثلما نحلل أي صراع نمطي، حيث يهدف كل طرف التأثير على الطرف الآخر، وهو ما ذهبت إليه "مارثا كرانشو Martha Cranshaw" إذ اعتمدت على التحليل الذي قدمه "توماس شيلينغ Thomas C.Schelling" لاستراتيجية الصراع، معتبرا أن الإرهاب هو مسار للمساومة، يستند إلى مدى قدرة أحد الأطراف على إلحاق الضرر بالطرف الآخر ومحاصرته، وذلك كبديل لاستخدام القوة المفرطة. وبالتالي فإن الإرهاب ما هو إلا خيار استراتيجي يقوم على "القدرة في إلحاق الضرر"، وبالتالي فإن الهدف الرئيسي للإرهاب ليس القضاء على القدرات العسكرية للدول وإنما التأثير على مواقفها[2]. وهو المستوى الذي تتوقف عنه الأعمال الإرهابية وفق هذا التفسير.

وفي السياق ذاته ترى الباحثة "مارثا كرانشو Martha Crenshaw " أن التنظيمات الإرهابية تقوم بأعمالها وفقا لعملية حسابية تقارن فيها بين المكاسب المحتملة من القيام بعملية معينة، وبين تكلفة هذه العملية، وكذلك التأكد من النتائج المترتبة عن فشل العملية، ولا تتحقق هذه الرؤية ولا تكتمل إلا من خلال الاعتماد على استراتيجية المفاجأة، التي تعوض بها الجماعات الإرهابية عن فارق القوة الموجودة بينها وبين مؤسسات الدولة[3].

وبالرغم من دقة هذه النظرية إلا أنها واجهت مجموعة من النقائص على مستوى منهجية التحليل، فقد تجاهلت عامل التنظيم الداخلي للجماعات، والذي يعتبر متغيرا مهما في فهم التوجهات الاستراتيجية التي تتبعها[4]، وفي بناء خططها التي تستند عليها في تنفيذ أعمالها الإرهابية سعيا لتحقيق الأهداف المرجوة من ممارسة الفعل الإرهابي، والتعويل عليه دون غيره من طرق الاحتجاج والتظاهر شبه العنيف.

---

[1]- عبلة سقني والجمعي النوي، السلوك الانتخابي للشباب الجزائري في ضوء نظرية الاختيار العقلاني، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، المجلد 13، العدد 02، ديسمبر 2022، ص 614.

[2]-Martha Crenshaw, Theories of terrorism: instrumental and organizational approach, in: David C.Rappoport (editor): Inside terrorist organizations, New York: Columbia Universitypress, 1988, P13.

[3]- Opcit, P 14.

[4]- Ami Jacques Rapin, L'objet evanescent d'une théorie improbable: le terrorisme et les sciences socials, Les cahiers du RMES, Vol 05, N 01, Eté 2008, P 199.

المطلب الثاني: المقاربات المفسرة للإرهاب الدولي.

يحاول الأكاديميون إيجاد مدخل تفسيري لتطور ظاهرة الإرهاب الدولي، غير أن المتغيرات المتحكمة في هذه الظاهرة معقدة ومتداخلة، بحيث لم يتمكن أي بحث أكاديمي من إيجاد تفسير دقيق للظاهرة، غير أن معظم الدراسات تُجمع على أن الإرهاب الدولي هو نتيجة لمخلفات العولمة السياسية وانعكاساتها على المجتمعات.

فعلى ضوء المستجدات العالمية الجديدة التي فرضتها العولمة، بدأت المنظمات الإرهابية تستفيد من فوائد العولمة وتطور التكنولوجيا في العالم، وبذلك أتيحت لها الفرصة لنقل أعمالها المدوية إلى جماهير أوسع بقوة التكنولوجيا... كما أصبح الحديث الآن عن "عولمة الإرهاب" كمفهوم جديد يتبع أسلوب الهيمنة على حقل الثقافة، ويعتمد فكره ومنهجه على تغذية العقل لدى الفرد بشكل غير مباشر بأفكار أو نزعات فلسفية دون أن يشعر الفرد بتغلغل تلك الأفكار في عقليته[1]... ويَعتبر الباحثون أن هناك ثلاثة عناصر متظافرة ناتجة عن العولمة، هي التي أدت إلى تزايد وتيرة الإرهاب الدولي، وتتمثل هذه العوامل[2] فيما يلي:

1- تراجع القوى المهيمنة: بحيث أن غياب قوة مهيمنة في العلاقات الدولية يؤدي إلى صعود قوى موازية ناتجة عن اختلال التوازن في العالم، وتؤدي الزيادة في اختلال التوازن إلى اكتساب هذه الفواعل المزيد من القوة التي تساعدها على زيادة التنافس مع القوى الأساسية في العلاقات الدولية، وعلى رأسها الدول، وتمثل التنظيمات الإرهابية الفواعل الموازية الأساسية التي تنتهز فرصة الاختلال الدولي من أجل البروز والتطور.

2- زيادة التنافس بين فواعل النظام الدولي: إن النظام الدولي فوضوي بطبيعته، كلما زادت حدة التنافس بين الفواعل الأساسية المشكلة لهذا النظام، كلما كانت فرصة التنظيمات الإرهابية أكبر حتى تندَّس في بيئة الخلافات الدولية وتستغلها لمصلحتها.

3- ظهور تنظيمات إرهابية في محيط النظام الدولي: بسبب اشتداد التنافس بين الدول الكبرى، أصبحت للتنظيمات الإرهابية بيئة خاصة ومستقلة تنشط فيها، بل وتتفاعل من خلالها مع الفواعل الرسمية من ناحية، كما تتفاعل ضدها من ناحية أخرى، وهذا كله راجع إلى غياب التنظيم الدولي المحكم الذي ينظم العلاقات بين الدول.

وفي ذات السياق يقدم كل من "بوينس Boyns" و"بالارد Ballard" محاولة أخرى لتفسير الإرهاب الدولي ونشأته وتطوره/تغيره، إذ ينطلقان من التطور الكبير الذي عرفته دراسات الإرهاب بعد أحداث 11

---

[1]- عبد الحق دحمان، جدلية المقاربة الإرهابية في أطروحات العلاقات الدولية "التفسير النظري والسياق الأيديلوجي"، اسطنبول: مركز المجدد للبحوث والدراسات، 2021، ص 13.

[2]- Ami Jacques Rapin, Opcit, P 210.

سبتمبر، ويعتبران أن هذا الحدث الدولي قد ألزم علماء الاجتماع ضرورة إعادة النظر في تصوراتهم عن ظاهرة الإرهاب.

اعتبر الباحثان في دراستهما أن الإرهاب الدولي ينطلق من ثنائية "الضعف" و"القوة"، ويستدلان على ذلك من خلال الرجوع إلى مختلف النماذج المعرفية في العلاقات الدولية، إذ يعتبران أن أدبيات علم السياسة قد ركزت على هذه الثنائية في مختلف المراحل، ومن أمثلة ذلك ما قدمته النظرية النسوية[1] التي ركزت على الصراع الدائر بين الجنسين من أجل تحقيق المساواة بينهما. وكذلك ما أشار إليه النموذج الماركسي من صراع طبقي لفهم ديناميكيات علاقات القوة التي تفسر الصراعات داخل المجتمع. إلا أن أدبيات علم السياسة نفسها أقرت وجود حدود منهجية لدراسات علاقات القوة، وهو ما يفتح نقاشا أكاديميا حول عدم تحديد أبعاد القوة وأطرافها وتوجهاتها. ولهذا اعتُبر الإرهاب الدولي في النهاية بأنه ردة فعل قوية لمواجهة حالة من العجز يدركها طرف معين في المجتمع الدولي، حيث أنه من المعلوم أن الطرف القوي يصوغ خططه التي يجب أن يلتزم بها مَن هو أقل قوة منه، وعليه تعود أصول الإرهاب الدولي إلى حالة عدم الرضا بهذا التفاوت في ميزان القوى الدولي، وبالتالي توَلّد صراعا على رموز السلطة والاقتصاد والأيديولوجيا التي تمثل أسس العلاقات الاجتماعية[2].

المطلب الثالث: المدخل الاقتصادي في تفسير الإرهاب الدولي.

اعتبر عدد كبير من الدراسين المتخصصين العامل الاقتصادي كمتغير أساسي لفهم ظاهرة الإرهاب، كما ركز عدد منهم على دوره في تحفيز الاقتصاد. ومن الأمثلة على ذلك نجد المقال الذي نشره "روبرت بارو Robert J.Barro" عن العلاقة بين الحرب والإرهاب وبين دفع مستوى النمو الاقتصادي للولايات المتحدة الأمريكية، وقد أكد الباحث أن كل الحروب التي خاضتها الولايات المتحدة الأمريكية قد أدت إلى زيادة الناتج المحلي الخام، حيث ارتفع بنسبة 60% بعد الحرب العالمية الثانية وبنسبة 11% بعد الحرب في كوريا، كما ارتفع بنسبة 2% خلال الحرب على الفيتنام. وقد قدم الباحث تقديرا يؤكد فيه أن الولايات المتحدة الأمريكية ستحقق أرباحا من خلال حربها على الإرهاب في أفغانستان، إذ قدّر أن الخزينة ستجني ما بين 60 إلى 80 سنتا مقابل كل دولار تنفقه في المجال العسكري، وهو يشرح هذه المعادلة ويبسطها بالقول "إن زيادة النفقات العسكرية سيؤدي إلى إلغاء كل الخدمات المجانية والمساعدات المالية التي تقدمها الدولة للمجتمع،

---

[1]- دخلت النظريات النسوية إلى حقل العلاقات الدولية في أواخر ثمانينيات القرن العشرين وأوائل تسعينياته، وترتبط بدايات النسوية في حقل العلاقات الدولية بنشاط أكثر عمومية في التخصص، غالبا ما يشار إليه باسم الحوار الثالث ويسمى في بعض الأحيان الحوار الرابع. لتفاصيل أكثر أنظر :

ديم دان وميليا كوركي وستيف سميث، نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع، تر: ديما الخضرا، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016، ص ص 469-508.

[2]- David Boyns and James David Ballard, Developing sociological theory for the empirical understanding of terrorism, the American sociologist, Summer 2004, PP 11-12.

وبالتالي فإن كل خدمة مقدمة للمجتمع يجب أن يدفع ثمنها من خلال الرسوم والضرائب، أو من خلال مضاعفة جهد العمل والانتاج، وكذلك من خلال زيادة الاستثمار"[1].

وبناء على ما توصّل إليه صاحب المقال يمكننا القول أن الإرهاب أصبح ضرورة بالنسبة للدول الكبرى، حيث أن توظيفه في حركية النظام السياسي على المستويين الداخلي والخارجي على سواء يجعله وفق هذا التصور يشكل آلية لدفع عجلة الاقتصاد وزيادة نسب النمو المحلي.

أصبحت الدول تعتمد على الإرهاب باعتباره أداة من أدوات الصراع والحرب، إذ أنها تعتمد عليه في إحداث الضرر بدول أخرى عبر الفضاء السيبراني على سبيل المثال، ومن أنماطه اختراق المواقع الالكترونية والحسابات الشخصية للأفراد والمؤسسات (سياسيين ورجال أعمال وشركات اقتصادية)، والعمل على تخريب أنظمة البيانات والمعلومات لكبرى مؤسسات أجهزة الدولة والابتزاز وممارسة التهديد[2].

وهناك مجموعة أخرى من الدراسات التي أكدت أن دراسة الإرهاب لا تُفهم إلا من خلال تتبع مصادر تمويلها، وهو ما تقدمت به "لوريتا نابوليوني Loretta Napoleoni" التي سخرت حيزا كبيرا من كتابها الشهير "Modern Jihad" لتحليل العلاقة بين النشاطات الاقتصادية غير الشرعية وبين نمو وتطور الإرهاب وزيادة قوته، وتقدم الباحثة في هذا السياق عدة أمثلة عن شبكة المبادلات المعقدة التي تتم بطريقة غير شرعية، والتي تؤدي في النهاية إلى دعم مختلف شبكات الجريمة المنظمة والتنظيمات الإرهابية في العالم، وهي تنطلق من دراسة بعض الدول المتخلفة وخاصة تلك التي تتميز بامتلاك ثروات طبيعية هامة مثل الذهب والألماس، والتي تحتفظ بها كأصول تدعم بها الحرب الاقتصادية وتبقيها مستمرة. وقد قدمت الباحثة مصطلحا وصفت فيه هذه الدول بـ "State Shells" مثلما هو حال دولة سيراليون التي قادت فيها "الجبهة الثورية المتحدة" حركة غزو اجتاحت فيها البلاد عبر حدود دولة ليبيريا سنة 1991، وقد سيطرت الجبهة على ثروات البلاد محققة أربحا سنوية قدرت بـ 25 إلى 125 مليون دولار من بيع الألماس الخام بطريقة غير شرعية، كما أنها قايضت حجما غير معروف من الألماس الخام مقابل الحصول على الأسلحة[3].

كما أشارت الدراسة إلى وجود تعاون بين تنظيم القاعدة في أفغانستان وبين الجبهة الثورية، وهو ما سمح بإغراق ملايين الدولارات التي جمعها التنظيم عن طريق تجارة المخدرات مقابل الحصول على ثروة يمكن إدخالها بسهولة إلى الأسواق الغربية، واسترجاع قيمتها من ربح إضافي، وقد احتفظ التنظيم بعدد من الأحجار الثمينة كضمان للسيولة في حال قامت الدول الغربية بكشف وتجميد حساباته، وبحسب مصدر

---

[1]- Rbert.J Barro, Why the war against terror will boost the economy?, Business week, November 05th 2001, P 30.

[2]- عبد الحق دحمان، المرجع السابق، ص 14.

[3]- Loretta Napoleoni, The new economy of terror: an extract from the book: Modern Jihad: tracing the dollars behind the terror networks, Pluto press, 2004, P 10.

أمني بلجيكي فإن التنظيم قام بتحويل ما قيمته 10 ملايين دولار إلى أحجار ثمينة قبل مدة من هجمات 09/11، وذلك تحديدا تحسبا لهذه العملية[1].

وتلعب الأسواق السوداء وعمليات التهريب دورا جوهريا في تمكين التنظيمات من الأسلحة والمعدات اللوجستية، وكثيرا ما تتم عمليات مقايضة بين مختلف السلع والثروات مقابل الأسلحة والذخيرة والمعدات العسكرية والأدوية. وهكذا تمكنت هذه الأطراف من خلق نظام اقتصادي موازٍ دون أن نعرف إجابة عن مدى تغلغله في الحياة الاقتصادية الشرعية، إذ تواصل "نابوليوني" عرضها للأرقام التي تبين حجم المكاسب التي تحققها النشاطات الاقتصادية الإجرامية، التي تتمثل في الاتجار بالمخدرات والأسلحة والبشر، إذ تتداول تجارة المخدرات لوحدها مبالغ بـ 400 بليون دولار سنويا، في حين تمثل باقي الأنشطة ما يقدر بـ 100 بليون دولار، يتم الاحتفاظ بغالبية هذه الأموال في بنوك الدول الغربية التي لا تحاول البحث في مصدرها[2].

تمثل هذه التحويلات المالية ما قيمته 5% من الناتج المحلي الخام العالمي، إذ تعتبر حركة التجارة العالمية والمبادلات المالية العالمية بالنسبة لتلك التنظيمات شبكة مثالية لتبييض الأموال، وهو ما يضعف النظام العالمي لمكافحة تبييض الأموال، خاصة في حالة الأزمات.

لكن الجماعات الإرهابية لا تعتمد على الأنشطة غير الشرعية فحسب، فتنظيم القاعدة قد جمع أموالا كبيرة عن طريق مؤسسات خيرية وهبات وتبرعات منحت للمساجد والجمعيات الإسلامية في عدة أقطار من العالم، فقد قدمت شركة "UNOCAL" الأمريكية ما قيمته 25 مليون دولار لتنظيم طالبان في سبيل الحصول على مشروع خط الإمداد بالغاز لآسيا الوسطى، وإجمالا تقدر الأموال التي تسيرها التنظيمات غير الشرعية بـ 1.5 تريليون دولار[3] .

إن مصادر تمويل الإرهاب تكون إما ذات مصدر خارجي من قبل أشخاص آخرين أو منظمات أو مؤسسات أو حتى حكومات، أو تكون ذات مصدر ذاتي بحيث تمول المنظمة نفسها بنفسها مثل التجارة في النفط أو في القطع الأثرية، وهو ما أصبح يعتمد عليه كثيرا من قبل المنظمات الإرهابية بهدف الإفلات من الرقابة الأمنية[4].

من كل ما سبق نستخلص أن هذا التشابك بين النظامين الاقتصاديين المتوازيين الذين خلقهما تطور الجريمة من ناحية وانهيار الحدود الرقابية بسبب عولمة الاقتصاد من جهة ثانية، أن العالم الغربي لم يعد باستطاعته التخلي عن المليارات التي تضخها الأنشطة الإجرامية في رأسمال التجارة العالمية سنويا، كما أنه

---

[1]- Opcit, P 12.
[2]- Opcit, P 28.
[3]- Opcit, P 31.
[4]- نصيرة شيبان وعباسة طاهر، آثار التدابير الاقتصادية على عمليات تمويل الإرهاب، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، المجلد 08، العدد 04، 2019، ص 502.

مستفيد في حالات كثيرة من سيطرة الإرهاب والعصابات على منافذ الثروات في العالم من نفط ومعادن ثمينة والحصول عليها مقابل أسعار زهيدة.

المبحث الثالث:

الدراسات النقدية للإرهاب.

ظهرت الدراسات النقدية للإرهاب، بعد هجمات 11 سبتمبر 2001 بوصفها مقاربة بديلة من الأدبيات التقليدية السائدة في حقل دراسات الإرهاب. وهي تسعى، فضلً عن استكشاف فهم مبتكر للظاهرة، لنقد الكيفية التي يُساء بها استخدام "الإرهاب" و"الحرب على الإرهاب"، خطابًا وممارسةً. يستلهم هذا النوع من الدراسات أطروحات النظرية النقدية في العلاقات الدولية، خصوصًا المرتبطة منها بمدرسة فرانكفورت ومدرسة أبيريستويث للدراسات الأمنية النقدية. وعلى سبيل الامتداد للمدرسة البنائية في العلاقات الدولية، تحاج هذه الدراسات بأن الإرهاب ليس معطى موضوعيا، لكنّه مبني اجتماعيا Socially constructed ومثل غيره من التهديدات الأمنية المبنية اجتماعيا، لا يسمى الإرهاب إرهابا إلا إذا اعتبرته النخب إرهابا، وتكلمت عنه بوصفه إرهابا أيضا. على هذا النحو، لا يكون الإرهاب سابقا على الخطاب الذي يقدمه على أنه كذلك. وبعبارة أخرى، لا يوجد الإرهاب وجودا موضوعيا خارج اللغات، والأفكار، والهويات، والخطابات التي يتبناها مختلف الفواعل. فضلا عن ذلك، تسعى الدراسات النقدية للإرهاب لـ "نقد" الخطابات والممارسات المرتبطة بمكافحة الإرهاب والحرب "العالمية" عليه، والكيفية التي يتم بها توظيف ذلك مبررا لإجراءات وتدابير تخص تقويض الحريات، وانتهاك حقوق الإنسان. وبذلك، فهي، بدلا من القضاء على الإرهاب، تتحول إلى مصدر لتغذية الإرهاب نفسه. غير أن هذه الدراسات لا تكتفي بالنقد، بل تبحث في الأشكال غير العنيفة لمكافحة الإرهاب[1].

المطلب الأول: الإسهامات المنهجية والنظرية لمقاربة الدراسات النقدية للإرهاب.

بداية يجب أن نسجل المآخذ التي رصدتها المقاربة النقدية على المقاربات السابقة، والتي شكلت نقطة ارتكاز بالنسبة لإعادة البناء المنهجي لحقل دراسات الإرهاب "Terrorism Studies" حيث رصدت مقاربة الدراسات النقدية أربعة محاور رئيسية تمثل أوجه القصور في المقاربات النظرية السائدة في هذا الحقل، والتي يمكن تلخيصها كما يلي[2]:

---

[1]- محمد حمشي، الدراسات النقدية للإرهاب بوصفه حقلا معرفيا ناشئا: مراجعة "دليل راوتليدج إلى الدراسات النقدية للإرهاب"، سياسات عربية، العدد 31، مارس 2018، ص 120.

[2]- Richard Jackson, The core commitment of critical terrorism studies, Europeen political science, Vol 01, N 08, 2007, PP 01-02.

1. وجود نص منهجي واضح وضعف تحليلي في المقاربات التقليدية والحديثة، وذلك راجع إلى اعتمادها على مناهج وإجراءات بحثية ضعيفة، نتيجة الاعتماد على جمع معلومات منقولة من مصادر ثانوية، وهو ما يجعلها مضللة للباحث. أما المصادر المباشرة، فغالبا ما يتم التعامل معها بطريقة تغلب عليها التأويلات الأيديولوجية والأحكام المسبقة.

ومن ناحية ثانية فإن غياب تعريف شامل ومقبول للإرهاب حال دون إمكانية صياغة التعاريف الإجرائية اللازمة لبحث الظاهرة، وبالتالي العجز عن صياغة نظريات دقيقة حولها، إضافة إلى هيمنة البحوث الوصفية على الحقل وغياب التحليل والدراسات الإمبريقية، وهو ما أدى إلى تراكم المعطيات بدون أي تفسير موضوعي للظاهرة. كما أن تيار النقدية يعيب على الدراسات الحديثة أنها تَعتبر الإرهاب الحديث ظاهرة جديدة بدأت مع أحداث 09/11، وانتشرت بعدها.

2. يتمثل الانتقاد الثاني الموجه للمقاربات النظرية في دراسة الإرهاب، تركيزها على الأطر المنهجية والنظرية للدراسات الأمنية الكلاسيكية، كما أن برامج وسياسات مكافحة الإرهاب المعتمدة من طرف الدول ما هي إلا مراجعة للدراسات المتعلقة بمكافحة حركات التمرد والعصيان، والتي تعود غالبيتها إلى ستينيات القرن الماضي، ونتيجة لذلك غالبا ما قدمت مجمل الدراسات المعتمدة على هذه الخلفية مجموعة من النتائج التي تركز على الأولويات الأمنية للدول، وهو ما يحد من الفروض العلمية المتعلقة بطبيعة وأسباب ونتائج ظاهرة الإرهاب، ولذلك توصف النتائج التي توصلت إليها بأنها أنصاف حقائق، وبالرغم من ذلك استطاعت أن تنتشر في أعرق الأوساط الأكاديمية، وهو ما خلق ولا زال نقاشا واسعا حول مدى صحتها.

3. يتوجه الانتقاد الثالث إلى الأكاديميين والباحثين المتخصصين في دراسة الإرهاب، حيث يلاحظ أن غالبيتهم ينتمون إل مؤسسات ومراكز بحث تابعة أو قريبة من الدوائر والمؤسسات السياسية الرسمية، وعادة ما يؤدي هذا الترابط إلى تحويل مؤسسات البحث العلمي المنتمين لها إلى ما يصطلح عليه بـ "المجتمع الإبستيمي"، ويقصد به مجموعة الباحثين والمتخصصين الذين يتشاركون نفس القناعات والقيم السياسية، والتي يؤمنون بضرورة اتباعها من طرف الدول في صياغة سياساتها العامة. ونتيجة لذلك تحولت دراسات الإرهاب إلى جزء من مشروع تهيمن عليه الدولة في جميع جوانبه الأيديولوجية، السياسية، المالية والمؤسساتية.

4. يتمثل هذا الانتقاد في اعتبار جميع الإضافات المعرفية التي تمت في هذا المجال بأنها تصب في اتجاه إيجاد حل لظاهرة الإرهاب، وهو الأمر الذي يوجه الجهود الفكرية والبحثية في نطاق محدد، تُستغل فيه النظريات والمؤسسات وعلاقات القوة لحل مصادر أزماتية معينة، مما يؤدي إلى تجاهل الدور الذي يمكن أن تقوم به بعض المتغيرات في خلق وتعزيز ظاهرة الإرهاب، مثل رتابة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، اللامساواة وغياب العدالة، كمتغيرات متحكمة في ظهور الإرهاب ومختلف أنواع العنف داخل المجتمع.

بعد تحديد هذه الانتقادات قدم التيار النقدي نفسه على أنه التيار الرافض لمسميات العلوم الاجتماعية القائلة باستقلالية الظواهر، وبضرورة وجود أسباب موضوعية محددة لكل ظاهرة، وبناء عليه ركز هذا التيار على أن الإرهاب من الناحية الأنتولوجية هو نتيجة لحركية دائمة مصدرها التفاعل بين كل من المجتمع والسياسة، وهو يركز على الفاعلين وعلى السياق الذي ينشطون ضمنه في ذات الوقت.

نتيجة لما سبق عرَّفت مقاربة الدراسات النقدية الإرهاب بأنه "واقعة اجتماعية أكثر منها عملا عنيفا، وأن طبيعته لا تهدف إلى الإعمال في العنف، بل تعتمد على السياق العام والظروف، وبشكل أساسي تتحدد طبيعة الإرهاب بالآليات الاجتماعية والثقافية والقانونية والسياسية التي يعتمدها كل مجتمع في تفسير الأفعال وتصنيفها"[1].

ضمن هذا السياق أكدت المقاربة النقدية في دراسة الإرهاب على ضرورة تحديد مجموعة من القواعد النظرية والمنهجية التي توضح أبعاد الاختلاف مع المقاربات التقليدية، وخاصة تلك المتعلقة بالخلفيات الإبستمولوجية للمقاربة. حيث أن تيار النقدية تأسس في إطار ما بعد الوضعية التي شكلت المرجعية الأساسية لدراساته وبحوثه، وهو ما يبرر اعتبارَ المقاربة مسألة الحياد والموضوعية إزاء الظواهر أمرا مشكوكا فيه، وأن التعامل مع أي ظاهرة من الواقع لا يمكن أن يخلو من الانحياز. وتستند في ذلك إلى اعتبار أن كل نظرية تبرز لخدمة طرف أو غاية معينة، وأن النظريات المتعلقة بالإرهاب لا تشكل استثناءً[2].

انطلاقا من هذه التصورات قامت الدراسات النقدية بتقديم تعريف أوسع للإرهاب، متجاوزة المفاهيم المقولبة حسب تصورات النخب السياسية مع أحكام مسبقة، وقد انعكس ذلك على الأطر المنهجية المتبعة في الدراسات العلمية خاصة بعد انتقادها للمقاربات السابقة والتي اعتبرتها سطحية.

بذلك تعتبر هذه المقاربة توجها ثوريا يقوم على موقف المشكك والراغب في إعادة النظر في المعارف المكتسبة سابقا عن ظاهرة الإرهاب، ويمكن اعتبارها حركة فكرية تسمح بالتعامل مع عدة منظورات حتى تلك التي اعتُبرت سابقا بعيدة عن الاتجاه السائد في الدراسة، ومعنى ذلك أن مقاربة الدراسات النقدية هي اتجاه ملتزم بتعدد التخصصات والتوجهات الفكرية، مع الرغبة في التعاطي مع مختلف المنظورات والاقترابات للتحرر من القواعد التي فرضها التوجه الأورثودوكسي، والذي عجز عن تقديم نتائج مهمة للظاهرة. وبذلك يكون هدف الدراسات النقدية، تفسير وتمحيص الدراسات السابقة مع إصلاح ما يمكن أن تكون له قيمة من المعطيات العلمية المتوفرة لدى التخصصات المختلفة[3].

---

[1]- Poowin Bunyavejchwin, The Orthdox and the critical approach toward terrorism: an overview, Ritsumeeiken center for Asia pacific studies, working paper, N 10, December, 2010, P 04.

[2]- Alishing Mc Morrow, What does critical terrorism studies contribute to the study of terrorism, Queen's University Belfast, working paper, N 16, 2010, P 02.

[3]- Richard Jackson, Critical terrorism studies: an explanation, a diffence and a way forward, international studies association, annual conference, 14-16 December 2009, PP 03-04.

ومن أهم الإسهامات التي قدمتها مقاربة الدراسات النقدية هو التقليل من أهمية الرؤى السياسية وأهمية أمن الدولة في دراسة ظاهرة الإرهاب، الأمر الذي كان يسبب انحيازا دائما إلى مصالح الدولة. حيث أن معظم الدراسات الأكاديمية تؤكد على أن المجموعات الإرهابية هي كيانات مستقلة تماما عن الدول، وأن أفعالها معادية للدولة من دون أن يكون لهذه الأخيرة دور يفسر هذه الأفعال، وبالتالي تحولت جميع الدراسات إلى سلاح فكري يعمل على المستوى الأيديولوجي، وينحاز إلى صف الدولة ومشاريع هيمنتها على المجتمع[1].

في السياق ذاته ركزت المقاربة النقدية على تحويل مفهوم الأمن من أمن الدولة إلى أمن الإنسان، وهي بذلك تتفق مع ما قدمته المدارس التي تؤمن بأولوية أمن الفرد وحريته ورفاهيته على أمن الدولة، على اعتبار أن هذه الأخيرة ما هي إلا وسيلة وُجدت لتحسين وتأمين وجود الإنسان[2].

إضافة إلى ما سبق فإن البحوث النقدية قدمت مجموعة من الإسهامات على المستوى الإبستمولوجي للبحث، تتمثل في إعادة النظر في آليات إنتاج المعرفة بكونها آلية اجتماعية، ومناقشتها لذاتية البحث وأيضا لطبيعة العلاقة بين المعرفة والقوة، وما يمكن أن ينتج عن ذلك من تحوّل للمعرفة إلى تقنية سياسية لإحكام سيطرة النخب على المجتمعات. وبصيغة أخرى ساهمت هذه المقاربة في تفنيد فكرة الموضوعية والمحايدَة. فالحقيقة حول ظاهرة الإرهاب غير ممكنة، وهناك دائما بُعد أيديولوجي أو إثني أو سياسي يتداخل مع مسار البحث، بل إنه في أحيان كثيرة يتحكم فيه ويوجهه، غير أن هذا لا يعني أن الدراسات ليست موثوقة، ولكن يجب على عملية البحث في ظاهرة الإرهاب أن تلتزم بأدق المعايير الأكاديمية البحثية، وأن تصحبها رؤية نقدية دائمة فيما يتعلق بالنواحي الإبستمولوجية، الأخلاقية والعلمية، وهو ما يمكن أن يفتح مجالات جديدة للبحث، انطلاقا من طرح بعض الأسئلة المهمة من قبيل لمن يتوجه البحث؟ وكيف يمكن للمعرفة المتحصل عليها من بحث الإرهاب أن تدعم مصالحا معينة بذاتها؟[3].

وإذا كان الإرهاب من الناحية الأنطولوجية هو نتاج سياقات اجتماعية معينة، فإن ذلك يستوجب من الناحية الإبستمولوجية توسيع مجال البحث، مع التركيز على إدراج كل من إرهاب الدولة وإرهاب الأفراد وسياسات مكافحة الإرهاب وكل أشكال العنف الأخرى، وذلك لأن هذا التوسع البحثي والمعرفي حول الظاهرة، سيؤدي في المحصلة إلى وضع العنف الإرهابي في سياقه السيوسيو-تاريخي، حتى يتمكن الباحث من رسم تطورات الإرهاب الماضية، وتوظيفها في ذات الوقت، في محاولة التنبؤ بمساراته المستقبلية المحتملة[4].

---

[1]- Alishing Mc Morrow, Opcit P 03.
[2]- Richard Jackson, Critical terrorism studies: an explanation, a diffence and a way forward, Opcit, P 05.
[3]- Opcit, P 06.
[4]- Opcit, P 07.

ونظرا لكل المناقشات العلمية والمنهجية التي قدمتها الدراسات النقدية للإرهاب، والتي خضعت لها أيضا، فقد ظهر بأنها مقاربة ضرورية لمجاراة الأحداث والتطورات الراهنة، خاصة وأنها ألقت الضوء على جوانب كثيرة تجاهلتها المقاربات التقليدية وأكملت جوانب النقص فيها. فبعد اعتراف النقديين بإرهاب الدول، أعادوا الاعتبار لضحايا العنف الرسمي وتمكنوا من خلق جدل واسع، بعد أن أزاحوا التمييز بين ضحايا العنف الذي تمارسه الدول الغربية، والذين يُعتبرون أقل قيمة من ضحايا العنف الذي يمارَس ضد هذه الدول ورعاياها. وبهذه الطريقة لم يعد مصطلح الإرهاب متداولا لإزاحة الشرعية عن كل فعل معارض للغرب، ومبررا لكل فعل يقوم به هذا الأخير تحت مسمى الدفاع الشرعي عن النفس وعن مصالحه الحيوية أو حفظ السلم والأمن[1].

المطلب الثاني: فجوات المقاربة النقدية في دراستها للإرهاب.

قدمت المقاربة النقدية قيمة معرفية مضافة واضحة لحقل دراسات الإرهاب، والتي كان لها الأثر الإيجابي البالغ في توسيع النقاش بين مختلف المقاربات التي اهتمت بدراسة ظاهرة الإرهاب من مختلف الزوايا، وهو ما جعلها (المقاربة النقدية) تثير جدلا واسعا في الأوساط الأكاديمية والسياسية على حد سواء، لكن ذلك لم يمنع الكثير من الدارسين المتخصصين من إبداء ردود بحثية كثيرة وتوجيه انتقادات لمسلماتها المعرفية في تصور ظاهرة الإرهاب، وكان مجملها بطبيعة الحال موجها من طرف رواد المدرسة التقليدية، الذين أشاروا إلى مجموعة من نقاط الضعف في هذه المقاربة، نذكر منها ما يلي:

1. إن أول ما يستدعي الاهتمام لدى المدرسة النقدية هي مبالغة روادها في الحديث عن ظاهرة الإرهاب بشكل جعلهم يعتقدون بأنهم اكتشفوا ظاهرة جديدة، وأكثر من ذلك اعتبروا أنهم أسسوا لحقل معرفي جديد، متجاهلين كما هائلا من الانتاج الفكري والمعرفي السابق، وهذا ما من شأنه جعل هذا الحقل المعرفي ينهار، وذلك لأن موجة التشكيك والانتقادات التي وجهتها المقاربة النقدية، أدت إلى التأكيد على أن البحث في ظاهرة الإرهاب هو مجرد مجال عقيم، وأنه لا يمثل مجالا للبحث الأكاديمي لأنه شكَّل فشلا مستمرا في تفسير الظاهرة واحتوائها .

2. إن الأجندة البحثية التي وضعتها المقاربة النقدية لنفسها جعلتها تخرج عن حدود البحث، حيث ركزت المقاربة على نزعتها التحريرية من الهيمنة السياسية، ولكنها بالرغم من ذلك ركزت على أن لها دورا تفسيريا وتحليليا للسياسات، خاصة تلك المتعلقة بمكافحة الإرهاب، وفي هذا السياق يرى الباحث الأمريكي "جونينغ **Gunning**" أن أي تيار يصف نفسه بالنقدي، لا يمكن أن ينقطع تماما عن المجال السياسي، لأن ذلك سيجعله يناقض التزامه بالنقد .

[1]- Eric Hurring, Critical terrorism studies: an activist scholar perspective, Critical terrorism Studies, Vol 01, N 02, 2008, P 22.

3. إن محاولات المقاربة النقدية للقضاء على هيمنة المقاربات التقليدية على حقل دراسات ظاهرة الإرهاب، سيؤدي في نهاية المطاف إلى خلق هيمنة جديدة، ذلك لأن مفهوم النقد قد يتحول إلى مستهل لإعادة بناءٍ مفاهيمية ضخمة، ترتكز على تقليدية جديدة تتمحور فقط حول الإنتاج العلمي للمدرسة النقدية. كما أن فكرة توسيع الحقل قد تؤدي إلى التقليل من القيمة التحليلية لاستخدام النقد، وهو ما يمكن أن يؤثر سلبا على إمكانية تعميق دراسات الإرهاب .

4. لم تتمكن المقاربة النقدية من إيجاد حل لما يسمى بمشكلة التعريف، أي تعريف ظاهرة الإرهاب، حيث أنها وجهت النقد إلى المقاربات التقليدية معتبرة أن التعريفات التي قدمتها ما هي إلا تعريفات منحازة سياسيا، غير أنها لم تقدم تعريفا بديلا، وهذا ما دفع مجموعة من الباحثين إلى القول "أن استمرار البحث حول أعمال الإرهاب دون تحديد تعريف للإرهاب، سيؤدي إلى رفض نتائجه بسبب الخلط بين الفعل وبين تفسيراته، وبهذا الشكل فإن البحث سيوجه جهوده إلى وصف السلوك الإرهابي الذي هو حكم اجتماعي أكثر منه ظاهرة عامة، بدلا من إيجاد تعريف لائق للإرهاب نفسه" .

5. ومن بين أهم الانتقادات التي طالت المقاربة النقدية في دراسة الإرهاب، تلك الانتقادات المتعلقة بالتركيز على المدخل التاريخي، إذ لا يزال هذا المدخل محل شك حول قدرته على إعطاء الأدلة الكافية لتتبع مسارات الظاهرة مستقبلا. وقد حاول الباحث الأمريكي "دافيد رابوبورت David Rapoport" بناء نظرية معتمدا على المدخل التاريخي، أطلق عليها اسم "الموجات الأربع"، وهي تمتد على أربع مراحل تاريخية مختلفة (الفوضوية، محاربة الاستعمار، اليسارية الجديدة، الموجة الدينية)، معتبرا أن لكل موجة دورة تستمر لمدة خمسة وأربعين سنة، غير أن هذه النظرية اعُتبرت قاصرة عن تفسير الواقع الفعلي، كما أنها أخفقت في إدراك ما يسمى بالإرهاب الجديد –الإلكتروني والبيولوجي- كما أن الدراسات التاريخية المقارنة للإرهاب غير كافية إذا لم نقل نادرة، إذ يؤكد الباحث "أندور سيلك **Andrew Silke**" بعد قيامه بدراسة 490 مقالا نشر حول الإرهاب في عقد التسعينيات، أنه لم يجد منها إلا 13 مقالا تناولت مراحل تاريخية قديمة، كما وجد أيضا أن 07 مقالات فقط تعرضت للأعمال الإرهابية التي وقعت قبل سنة 1960. وبالتالي يبقى المدخل التاريخي بعيدا جدا عن أولويات البحث لدى المجتمع الأكاديمي المتخصص في دراسة الإرهاب .

6. وأخيرا شملت حملة الانتقادات التي طالت المقاربة النقدية مناداة هذه الأخيرة بضرورة تكامل العلوم الاجتماعية فيما بينها لدراسة ظاهرة الإرهاب، إضافة إلى خلق تخصصات بينية من شأنها فتح المجال أمام أجندات بحثية جديدة تتناول الظاهرة من مناظير مختلفة، غير أن هذا التعاون بين العلوم الاجتماعية على درجة كبيرة من الصعوبة، حيث أن كل علم قد أسس أدواته ومناهجه البحثية بشكل مستقل، فعلى سبيل المثال حلل علماء الجغرافيا السياسية، دور الأبعاد الجغرافية في فهم الأبعاد المعقدة لشبكات الإرهاب من أجل تحسين آليات مكافحته. وفي الوقت نفسه يناقش علماء الاجتماع موضوع الإرهاب من حيث كونه

بنية اجتماعية، في حين أن علماء السياسية يناقشونه كمفهوم للخطر داخل المجتمع، ومن خلال كل هذه الاجتهادات يكون التركيز بشكل أساسي على تشكيل المعرفة وتراكم الأدبيات العلمية والتنوع المنهجي، أكثر من التركيز على مدى قدرة تطبيق الانتاجات على ظاهرة الإرهاب بشكل خاص. وقد أضاف "توماس موكايتيس Thomas Mockaitis" في هذا السياق أن دراسة الإرهاب تواجه معضلة تشتت المجهود سواء في مجال فهم ظاهرة الإرهاب في حد ذاتها، أو في مجال إيجاد استراتيجية لمواجهتها، وهو ما جعل هذا الحقل من الدراسات في نهاية المطاف يصل إلى طريق مسدود .

وفي الأخير يمكن القول أن حقل دراسات الإرهاب قد شهد طفرة كبيرة من الناحية المنهجية ومن ناحية الإنتاج العلمي، وبالرغم من الانتقادات المتبادلة بين مختلف المقاربات النظرية التي حاولت تفسير ظاهرة الإرهاب، إلا أن مستقبل هذا الحقل من الدراسة سيكون أكثر تطورا، حيث سيسمح ذلك بإنتاج علمي متأصل يتناول أبجدياته من مختلف الإنتاجات العلمية المتراكمة.

المطلب الثالث: معالجة أوجه القصور في الدراسات النقدية للإرهاب.

سيتم التركيز ضمن هذا السياق على ثلاث فجوات ابستمولوجية ينبغي على المقاربة النقدية معالجتها بعد مراجعة مسلماتها المنهجية والنظرية التي اعتمدتها في محاولتها لدراسة ظاهرة الإرهاب، خاصة على ضوء قدرتها التفسيرية المتميزة مقارنة بالمقاربات السيكولوجية والسوسيولوجية، وذلك حتى تحافظ على هويتها المعرفية بوصفها مشروعا بحثيا نقديا.

1. تحتاج الدراسات النقدية للإرهاب إلى مراجعة وإعادة النظر في "تعريف كيفية تعريف الإرهاب Redefining how to define، وهي خطوة تأملية Reflexive ضرورية شبيهة بما يسميه، الإبستيمولوجيون "فهم الفهم" أو "التنظير حول التنظير". وفي هذا الصدد سيكون من الضروري على الدراسات النقدية للإرهاب أن تستمر في التلاقح مع الدراسات الأمنية النقدية واستلهام أطروحاتها، خاصة منها نظرية الأمننة. وعليه ينبغي للدراسات النقدية للإرهاب أن تسلط مزيدا من الضوء على فكرة أساسية متمثلة بأن أمننة العنف السياسي ووصفه بالإرهاب، أو وصف مرتكبيه بالإرهابيين، أمر غالبا ما ينتهي إلى تجاهل دوافع هذا العنف ومسوغاته ومدى شرعيته، وحتى مدى عقلانيته. وهذا التجاهل، بدوره، غالبا ما ينتهي إلى تشييء Reifying العنف وعزله عن سياقه الاجتماعي والتاريخي الذي فيه يبنى ويعاد بناؤه باستمرار[1].

2. تتصدى الدراسات التي تعنى بنقد الإرهاب لخطاب مكافحة الإرهاب والحرب العالمية عليه، من الناحيتين التفكيكية والنقدية، ومن خلال الكيفية التي يتم بها توظيفه لتبرير إجراءات وتدابير بشأن تقويض الحريات وانتهاك حقوق الإنسان. وبذلك، بدلا من القضاء عليه، تتحول إجراءات الحرب على الإرهاب

[1]- محمد حمشي، المرجع السابق، ص ص 124-125.

وتدابيرها ومكافحته إلى مصدر لتغذية الإرهاب نفسه، في هذا السياق، يشدد "تشارلز تاونزند" على ضرورة التمييز بوضوح بين "الإجراءات المضادة للإرهاب" و"مكافحة الإرهاب"، ومن ثم فإن على الدراسات النقدية للإرهاب أن تُعيد إبراز هذا التمييز. ويبدأ وعلى مستوى نقد الخطاب. ويبدأ طيف الاستجابات البنّاءة من إعادة قراءة الإرهاب باعتباره عرضا من أعراض غياب "العدالة الاجتماعية"، وتكون الاستجابة عبر إجراء إصلاحات فعالة، ذات صلة بالأسباب الجذرية للإرهاب؛ الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية و/أو الثقافية. هنا، لا بد للدراسات النقدية للإرهاب من أن تجتهد أكثر فأكثر في فحص هذه الأسباب والإصلاحات الملائمة لمعالجتها، لأن التجريم المفرط للإرهاب تنجم عنه "إجراءات هجومية ممنهجة" لا تقل عنفا عن الإرهاب نفسه، هذا في وقت يجب فيه "أن يكون العمل المضاد للإرهاب أكثر تميزا ومعيارية من العمل الإرهابي. وعلى مستوى نقد الخطاب، لا بدّ للدراسات النقدية للإرهاب من الاستمرار في تفكيك خطاب الحرب العالمية عليه وفضح حججه وأساطيره المؤسسة. هناك من يجادل بأنّ أفضل استجابة للإرهاب تتمثَّل بعدم الخوف، لأنّ الإرهاب يتغذى من خوف الجمهور وارتباك القرار السياسي حيال الإرهاب. لكنّ هذا الأمر يتطلّب، بالضرورة، تحولً جذريًا في الخطاب السياسي/ الشعبوي السائد. يجب التفطن إلى أنّ الإرهاب، بوصفه تهديدًا لبقاء الدولة، خطاب منافٍ للواقع فقط. فالإرهاب ليس إلا تحديا لاحتكار الدولة للقوة في معناها المرتبط بالقدرة على ممارسة "العنف الشرعي"، لذلك تبقى الحرب التي يمكن أن تخوضها دولة ضد الإرهاب، بهذا المفهوم المبهم، موضوعا أساسيا بالنسبة إلى أجندة بحث الدراسات النقدية للإرهاب[1].

3. بما أنه على الدراسات النقدية للإرهاب، تحديدا، ألا تكتفي بالنقد، خصوصا بشأن مكافحة الإرهاب، وأن عليها أن تبحث، أيضا، في الأشكال غير العنيفة التي لا تعيد إنتاج الإرهاب وتغذيته على نحو ما سبق، فإنه يجب دائما تأكيد حاجة هذا الحقل المعرفي الناشئ إلى الانفتاح على الأصوات القادمة من جغرافيات أخرى بعيدة عن الغرب، خصوصا من تلك الجغرافيات التي تعاني وطأة الحرب على الإرهاب. ومن الواضح أنّه على الرغم من أنّ الغرب يبقى أقلّ الجغرافيات تضررًا من الإرهاب، فإنّ الحقل المعرفي الذي يزعم التخصص في دراسة الإرهاب يبقى متمركزًا بشدّة حول الغرب، ويستقطب باحثين، سواء كانوا منحدرين من الغرب أو ممن تلقوا تكوينهم فيه، أو يمارسون نشاطهم البحثي فيه أيضًا، أكثر من أي مناطق جغرافية أخرى. تُعد هذه الميزة المقلقة امتدادًا طبيعيًا لتمركز حقل الدراسات الأمنية حول الغرب. وقد سبق أن شدّد "باري بوزان" و"لين هانسن" على أن هذه "الميزة" تُعد مشكلة أكثر من كونها وصفًا لحالة الحقل المعرفي كله فقط. وبسبب هذه المشكلة، انتهى الحقل، كما يبدو، إلى حالة من الانغلاق المفرط، سواء تعلّق الأمر بحدود الجغرافيات المتناولة، أو بموضوعات الأمن، أو بمصادر انعدام الأمن المبحوث فيها، أو حتى بطبيعة النوع الاجتماعي الذي تركز عليه الدراسات الأمنية المتمركزة حول الغرب. وإذا أُريد لحقل الدراسات

[1]- المرجع نفسه، ص ص 125-126.

النقدية للإرهاب أن يكون نقديًا، بالمعنى الإبستيمولوجي للكلمة، فيجب، فضلً عن إقحام باحثين غير غربيين مهتمين بمسألة الإرهاب، أن يتوقف الباحثون غير الغربيين أنفسهم عن إعادة إنتاج دراسات متمركزة حول الغرب؛ وذلك بالتوقف عن الشعور بأنهم مضطرون إلى التعبير عن انشغالهم بحالات انعدام الأمن في العالم غير الغربي)الإرهاب مثلً(، باستخدام المفردات والمفاهيم المعطاة لهم مسبقًا؛ حتى يؤخذ كلامهم على محمل الجدّ، ويُنظر إليهم على أنّهم ينتجون معرفة علمية، لا آراء وانطباعات فقط. من هذا المنظور، يمكن القول إنّ الدراسات النقدية للإرهاب الناشئة تبقى في حاجة إلى نقد أعمق يقيها الانغلاق والتمركز[1].

خاتمة:

على ضوء كل ما تم عرضه من نتائج الاهتمام الذي حظيت به ظاهرة الإرهاب من طرف عديد الحقول المعرفية (من السيكولوجية إلى السوسيولوجية والنقدية) في محاولة إيجاد تفسير لنشأة الظاهرة وتطورها، فإن ذلك التراكم العلمي الكبير الذي قارب الظاهرة من زوايا مختلفة، والذي بالرغم من عدم توصله إلى نتيجة غير قابلة للنقد، إلا أنه أزال اللبس عن الظاهرة وأخرجها من الأطر القانونية إلى الإطار العلمي الذي حاول تفسير وحصر جوانب الظاهرة بغية توجيه فواعل المجتمع الدولي وفق مقاربة معرفية ذات قدرة عالية على التفسير، نحو التعامل معها بطريقة أكثر نجاعة، ومن كل الجوانب الفكرية/الأيديولوجية والاجتماعية/النفسية والدبلوماسية والاقتصادية والأمنية كذلك.

لكن من الجيد القول تبعا للنتائج المتوصل إليها من الدراسة أن المقاربة النقدية في موضوع الإرهاب ومناقشة مكافحة الإرهاب باتت أكثر تأثيرا من النظريات التقليدية، وذلك يعود إلى أنها استخدمت أدوات مختلفة في التحليل، بما جعل تفسيرها يظهر أصيلا بتخصص العلاقات الدولية، خاصة عندما أبانت عن قدرتها المتميزة في مناقشة إشكالية تحديد المسارات المستقبلية للظاهرة. إن ارتباط الإرهاب والحرب العالمية على الإرهاب بتهديد أمن واستقرار النظام الدولي جعل المقاربة النقدية الأقرب إلى تشخيص الظاهرة في كل أبعادها المرتبطة بحركية الوحدات السياسية والعلاقات الدولية على حد سواء، ذلك لكون الفهم والإدراك والتصورات المستقبلية تشكل بذاتها نقاط ارتكاز رئيسية في البناء النظري للمقاربة النقدية للإرهاب.

تأسيسا على ذلك يمكن القول أن حقل دراسات الإرهاب شهد طفرة كبيرة من الناحية المنهجية ومن ناحية الإنتاج العلمي، وبالرغم من الانتقادات المتبادلة بين مختلف المقاربات النظرية التي حاولت تفسير ظاهرة الإرهاب، إلا أن مستقبل هذا الحقل من الدراسة سيكون أكثر تطورا، حيث سيسمح ذلك بإنتاج علمي متأصل يتناول أبجدياته من مختلف الإنتاجات العلمية المتراكمة.

[1]- المرجع نفسه، ص ص 126-127.

قائمة المصادر والمراجع

-Martha Crenshaw, The subjectif reality of the terrorist, London: Macmillan editions, 1988.

-David G.Hubbard, The psychodynamics of terrorism, London: Adeniram and Kilmarx editions, 1986.

-Martha Crenshaw, The psychology of political terrorism, London: M.G Herman edition, 1986.

-John W.Crayton, Terrorism and the psychology of the self, Wilmington: Friedman and Alexander editors, 1983.

-Shahid Akhtar, The psychodynamic dimention of terrorism, Psychatric annuals, Vol 29, N 06, 1999.

- يوسنة عبد الوافي زهيروبن جديدي سعاد، النرجسية: مقاربة نظرية، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، المجلد 07، العدد 28، سبتمبر 2008.

-Fredrick J.Hacker, Crusaders, criminals, crazies and terrorism in our time, New York: W.Norton editions, 1976.

-Randy Borum (DIR), Psychology of terrorism, USA/ University of South Florida, 2003.

- عبد الحق مجيطنة، مفهوم العنف الاجتماعي في البحوث السوسيولوجية بين الطرح العلمي والطرح الأيديولوجي "قراءة إبستمولوجية"، المجلية العلمية لجامعة الجزائر3، المجلد 6، العدد 11، جانفي 2018.

-Jeff Victoroff, The mind of the terrorist: A review and critique of psychological approach, The Journal of conflict resolution, Vol 49, february 2005.

- حنان بوغراف، قراءة تحليلية لأهم النظريات السوسيولوجية المفسرة للسلوك الإجرامي والإنحرافي، حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 17، العدد 01، جوان 2023.

- عبلة سقني والجمعي النوي، السلوك الانتخابي للشباب الجزائري في ضوء نظرية الاختيار العقلاني، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، المجلد 13، العدد 02، ديسمبر 2022.

-Martha Crenshaw, Theories of terrorism: instrumental and organizational approach, in: David C.Rappoport (editor): Inside terrorist organizations, New York: Columbia Universitypress, 1988.

-Ami Jacques Rapin, L'objet evanescent d'une théorie improbable: le terrorisme et les sciences socials, Les cahiers du RMES, Vol 05, N 01, Eté 2008.

- عبد الحق دحمان، جدلية المقاربة الإرهابية في أطروحات العلاقات الدولية "التفسير النظري والسياق الأيديلوجي"، اسطنبول: مركز المجدد للبحوث والدراسات، 2021.

- ديم دان وميليا كوركي وستيف سميث، نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع، تر: ديما الخضرا، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016.

-David Boyns and James David Ballard, Developing sociological theory for the empirical understanding of terrorism, the American sociologist, Summer 2004.

-Rbert.J Barro, Why the war against terror will boost the economy?, Business week, November 05th 2001.

-Loretta Napoleoni, The new economy of terror: an extract from the book: Modern Jihad: tracing the dollars behind the terror networks, Pluto press, 2004.

- محمد حمشي، الدراسات النقدية للإرهاب بوصفه حقلا معرفيا ناشئا: مراجعة "دليل راوتليدج إلى الدراسات النقدية للإرهاب"، سياسات عربية، العدد 31، مارس 2018.

-Richard Jackson, The core commitment of critical terrorism studies, Europeen political science, Vol 01, N 08, 2007.

-Poowin Bunyavejchwin, The Orthdox and the critical approach toward terrorism: an overview, Ritsumeeiken center for Asia pacific studies, working paper, N 10, December, 2010.

-Alishing Mc Morrow, What does critical terrorism studies contribute to the study of terrorism, Queen's University Belfast, working paper, N 16, 2010.

-Richard Jackson, Critical terrorism studies: an explanation, a diffence and a way forward, international studies association, annual conference, 14-16 December 2009.
-Eric Hurring, Critical terrorism studies: an activist scholar perspective, Critical terrorism Studies, Vol 01, N 02, 2008.